

تفسير البحر المحيط

@ 437 خاصين . والمعنى : إنك تعطي من شئت قسماً من الملك ، وتنزع ممن شئت قسماً من الملك وقد فسر الملك هنا بالنبوة أيضاً ، ولا يتأتى هذا التفسير في : تنزع الملك ، لأن
□ لم يؤت النبوة لأحد ثم نزعها منه إلاّ أن يكون تنزع مجازاً بمعنى : تمنع النبوة
ممن تشاء ، فيمكن . .

وقال أبو بكر الوراق : هو ملك النفس ومنعها من اتباع الهوى . وقيل : العافية ، وقيل :
القناعة . وقيل : الغلبة بالدين والطاعة . وقيل : قيام الليل . وقال الشبلي : هو
الاستغناء بالمكون عن الكونين . وقال عبد العزيز بن يحيى : هو قهر إبليس كما كان يفرّ
من ظل عمر ، وعكسه من كان يجري الشيطان منه مجرى الدم . وقيل : ملك المعرفة بلا علة ،
كما أتى سحرة فرعون ، ونزع من بلعام . وقال أبو عثمان : هو توفيق الإيمان . .
وإذا حملناه على الأظهر : وهو السلطنة والغلبة ، وكون المؤتَمَى هو الأمر المتبع ، فالذي
آتاه الملك هو محمد صلى □ عليه وسلم) وأتمته ، والمنزوع منهم فارس والروم . وقيل :
المنزوع منه أبو جهل وصناديد قريش . وقيل : العرب وخلفاء الإسلام وملوكه ، والمنزوع فارس
والروم . وقال السدي : الأنبياء أمر الناس بطاعتهم ، والمنزوع منه الجبارون أمر الناس
بخلافهم . وقيل : داود عليه السلام ، والمنزوع منه طالوت . وقيل : صخر ، والمنزوع منه
سليمان أيام محنته . وقيل : المعنى تؤتي الملك في الجنة من تشاء وتنزع الملك من ملوك
الدنيا في الآخرة ممن تشاء . وقيل : الملك العزلة والانقطاع ، وسموه الملك المجهول . .
وهذه أقوال مضطربة ، وتخصيمات ليس في الكلام ما يدل عليها ، والأولى أن يحمل على جهة
التمثيل لا الحصر في المراد . .

{ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ } قيل : محمد صلى □ عليه وسلم)
وأصحابه ، حين دخلوا مكة في اثني عشر ألفاً كظاهرين عليها ، وأذل أبا جهل وصناديد
قريش حتى حزت رؤوسهم وألقوا في القليب . وقيل : بالتوفيق والعرفان ، وتذل بالخذلان .
وقال عطاء : المهاجرين والأنصار وتذل فارس والروم . وقيل : بالطاعة وتذل بالمعصية .
وقيل : بالظفر والغنيمة وتذل بالقتل والجزية . وقيل : بالإخلاص وتذل بالرياء . وقيل
بالغنى وتذل بالفقر . وقيل : بالجنة والرؤية وتذل بالحجاب والنار ، قاله الحسن بن
الفضل . وقيل : بقهر النفس وتذل باتباع الخزي ، قاله الوراق . وقيل : بقهر الشيطان
وتذل بقهر الشيطان إياه ، قاله الكتاني . وقيل : بالقناعة والرضا وتذل بالحرص والطمع .

ينبغي حمل هذه الأقاويل على التمثيل لأنه لا مخصص في الآية ، بل الذي يقع به العز والذل مسكوت عنه ، وللمعتزلة هنا كلام مخالف لكلام أهل السنة ، قال الكعبي : تؤتى الملك على سبيل الاستحقاق من يقوم به ، ولا تنزعه إلاّ ممن فسق ، يدل عليه { لَا يَنْدَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَبْدًا كُفْرًا } جعل الاصطفاء سبباً للملك ، فلا يجوز أن يكون ملك الظالمين بإيتائه وقد يكون ، وقد أُلزمهم أن لا يملكوه ، فصح أن الملوك العادلين